



الكرسي الرسولي

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامة: القداس - فعل التوبة

الأربعاء 3 يناير / كانون الثاني 2018

قاعة بولس السادس

[Multimedia]

أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير،

إذ نتابع التعليم حول الاحتفال بالافخارستيا، نتوقّف اليوم، في إطار الطقوس التحضيرية، عند فعل التوبة. فهو يساعدنا، بتواضعه، على أن نستعدّ داخليًا لنكون أهلًا للاحتفال بالأسرار المقدّسة، أي الاعتراف بخطايانا أمام الله والإخوة، الاعتراف بأننا خطاة. ودعوة الكاهن هي، في الواقع، موجهة للجماعة المصلية بأسرها، لأننا كلّنا خطاة. ماذا باستطاعة الله أن يعطي للذي امتلأ قلبه من ذاته، ومن نجاحه الشخصي؟ لا شيء، لأن المتكبر هو غير قادر على نيل الغفران، كونه مُشبع ببرّه المزعوم. لنفكر في مثل الفريسيّ والعشار، حيث وحده العشار يعود إلى منزله وقد برّر، أي عُفّرَت له خطاياه (را. لو 18، 9-14). الذي يدرك بؤسه ويخفض عينيه بوداعة، يشعر بنظرة الله الرحيمة تُلقى عليه. ونعلم من خبرتنا أنّ وحده من يعرف كيف يعترف بأخطائه ويعتذر، ينال تفهم الآخرين ومغفرتهم.

إن الاصغاء بصمتٍ إلى صوت الضمير يسمح لنا بالاعتراف بأن أفكارنا بعيدة عن أفكار الله، وأن أقوالنا وأعمالنا غالبًا ما تكون دينويّة، أي تفودها خياراتنا المخالفة للإنجيل. لذا، فإننا في بداية القداس، نقوم بفعل التوبة جماعيًا بواسطة نصّ اعتراف عام، يتلى بصيغة المتكلم. كلّ فرد يعترف لله وللإخوة بأنه قد خطئ "كثيراً بالفكر والقول والفعل والاهمال". أجل، بالإهمال أيضًا، أي بإهمال الخير الذي كان باستطاعتني أن أفعله. غالبًا ما نشعر أننا صالحين لأننا -نقول- "أنا لم أصنع الشرّ لأحد". في الواقع، لا يكفي عدم صنع الشرّ للقريب، بل يجب اختيار صنع الخير، باغتنام الفرصة لإعطاء شهادة حسنة على أننا تلاميذ يسوع. ومن المناسب الإشارة إلى أننا نعتزّ بأننا خطاة إلى كلّ من الله والإخوة: فهذا يساعدنا على فهم حجم الخطيئة التي، إذ تفصلنا عن الله، تفصلنا أيضًا عن إخوتنا، والعكس بالعكس. الخطيئة تقطع: تقطع العلاقة مع الله وتقطع العلاقة مع الإخوة، والعلاقة في الأسرة، وفي الجماعة: الخطيئة تقطع دومًا، تفصل، تقسم.

أمّا الكلمات التي أقولها بغمي، فيرافقها فعلٌ قرع الصدر، معترفًا بأنّي قد أخطأت بسببي وليس بسبب الآخرين. فغالبًا ما يحدث في الواقع، أننا، بسبب الخوف أو الخزي، نوجّه إصبع الاتهام إلى الآخرين. من الصعب الاعتراف بأننا مذنبين، لكنّه خير لنا أن نعتزّ به بجدية. الاعتراف بالخطايا الشخصية. أتذكر رواية مضحكة كان يخبرها مرسل مسنّ عن امرأة ذهبت للاعتراف وبدأت تقول أخطاء زوجها. ثم بدأت تخبر أخطاء حمايتها، ثم خطايا الجيران. في وقت معيّن، قال لها الكاهن المعروف: "ولكن يا سيدي قولي لي: هل انتهيت؟ - حسنًا: انتهى الأمر مع خطايا الآخرين. الآن قولي

بعد الاعتراف بالخطيئة، نطلب من القديسة مريم الدائمة البتولية، والملائكة والقديسين، الصلاة من أجلنا إلى الرب. وفي هذا أيضاً، ثمينة هي شركة القديسين: أي أن تضرعات هؤلاء "الأصدقاء ونماذج الحياة" (مقدمة الأول من نوفمبر/تشرين الثاني) تساندنا في مسيرتنا نحو الشركة التامة مع الله، حين يتم محق الخطيئة نهائياً.

بالإضافة إلى الـ "أنا أعترف"، من الممكن إتمام فعل التوبة بصيغ أخرى، على سبيل المثال: "رحمك يا رب / قد خطئنا إليك . / أرنا يا رب رحمتك. / وهب لنا خلاصك" (را. مز 123، 3؛ 85، 8؛ إر 14، 20). من الممكن، ولاسيما نهار الأحد، القيام بتبريك الماء ورشه، إحياءً لذكرى المعمودية (را. الترتيب العام لكتاب القديس اللاتيني الروماني، 51) التي تمحو كل الخطايا. من الممكن أيضاً، كجزء من فعل التوبة، ترتيل الـ كيريه إيسون: عبر هذه العبارة اليونانية القديمة نهتف للرب -كيربوس- ونلتمس رحمة (نفس المرجع، 52).

تقدم لنا الكتب المقدسة أمثالا منيرة من "تائبين" وجدوا الشجاعة، برجوعهم إلى ذواتهم بعد أن اقترفوا الخطيئة، لنزع القناع والانفتاح على النعمة التي تجدد القلب. نفكر في الملك داوود وفي الكلمات المنسوبة إليه في المزمور: "ارحمني يا الله يحسب رحمتك ويكثره رأفتك أمح معاصي" (51، 3). نفكر في الابن الضال الذي يعود لأبيه؛ أو في ابتهاج العشار: "اللهم ارحمني أنا الخاطيء" (لو 18، 13). نفكر أيضاً في القديس بطرس، وفي زكا، وفي المرأة السامرية. فحبرة قياس أنفسنا بمكيال هشاشة الطين التي جيلنا منه، تقوينا: فيما تجعلنا نعالج أمر ضعفنا، تفتح قلبنا على التماس الرحمة الإلهية التي تجعلنا نتغير ونتوب. وهذا ما نقوم به في فعل التوبة في بداية القديس الإلهي.

* * * * *

Speaker:

أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء،

إن فعل التوبة الذي نقوم به في بداية القديس الإلهي، أي الاعتراف بخطايانا أمام الله والإخوة، هو في غاية الأهمية إذ إنه يساعدنا على الاستعداد الداخلي لنكون أهلاً للاحتفال بهذا السر المقدس. الكاهن يدعو الجميع إلى القيام به لأننا كلنا خطاة وغالباً ما نخالف الإنجيل بأفكارنا وأقوالنا وأفعالنا البعيدة عن الله. نخطئ أيضاً حين نهمل أعمال الخير التي نقدر أن نقوم بها. أما سبب خطيئتنا فهو نحن وليس الآخرون، ولهذا نقرع صدرنا بالتزامن مع تلاوة هذا الفعل. الخطيئة تفصلنا عن الإخوة، وعن الشركة مع الله، ولذا نطلب تضرعات العذراء مريم والقديسين، لأنها تساندنا في مسيرتنا نحو الشركة التامة مع الله، التي تتم حين تمحق الخطيئة نهائياً. في ختام فعل التوبة هذا نال الغفران عن خطايانا غير المميتة، فالمميتة منها تتطلب التقرب من سر الاعتراف. نحن مدعوون بالتالي، إلى عيش هذا الفعل المتواضع بكل جدية، كما على غرار العديد من شخصيات الكتب المقدسة، نعرف كيف نرجع إلى أنفسنا ونتوب فنفتح على النعمة التي تجدد القلب وتغير الحياة.

* * * * *

Santo Padre:

Saluto cordialmente i pellegrini di lingua araba, in particolare quelli provenienti dall'Egitto, dal Libano e da altre regioni del Medio Oriente. Cari fratelli e sorelle, l'atto penitenziale che compiamo

comunitariamente al l'inizio della Messa, ossia riconoscere davanti a Dio e ai fratelli i nostri peccati, ci permette di prepararci interiormente per essere degni di celebrare questo Santo Mistero. Chi confessa i suoi peccati con umiltà e sincerità, riceve il perdono e ritrova di nuovo l'unione con Dio e con i fratelli. Il Signore vi benedica tutti e vi protegga dal maligno!

* * * * *

Speaker:

أَرْحَبُ بِمُودَّةٍ بِالْحَاضِرِينَ النَّاظِقِينَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَخَاصَّةً بِالْقَادِمِينَ مِنْ مِصْرَ وَمِنْ لُبْنَانَ وَمِنْ مَنَاطِقٍ أُخْرَى مِنْ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ. أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ الْأَعْزَاءُ، إِنْ فَعَلْتَ التَّوْبَةَ الَّتِي نَقُومُ بِهَا جَمَاعِيًّا فِي بَدَايَةِ الْقُدَّاسِ الْإِلَهِيِّ، أَيْ الْاعْتِرَافَ بِخَطَايَانَا أَمَامَ اللَّهِ وَالْإِخْوَةِ، يَجْعَلُنَا نَسْتَعِذُّ دَاخِلِيًّا كَيْمَا نَكُونَ أَهْلًا لِلْإِحْتِفَالِ بِهَذَا السِّرِّ الْمُقَدَّسِ. وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِخَطَايَاهُ بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَجَدِّيَّةٍ، يَنَالُ الْغُفْرَانَ، وَيَعُودُ فَيَتَّحِدُ بِاللَّهِ وَالْإِخْوَةِ. لِيَبَارِكْكُمْ الرَّبُّ جَمِيعًا وَيَحْرُسْكُمْ مِنَ الشَّرِّ!

© جميع الحقوق محفوظة - حاضرة الفاتيكان 2018